االمحاضرة 03

تطور التربية المقارنة من المنظور التاريخي

مرحلة النقل والإستعارة. أو المنهج الوصفي

مراحل تطور منهجية البحث في التربية المقارنة:

درج دارسو التربية المقارنة على تقسيم تطور الدارسات التربوية المقارنة إلى ثلا ث مراحل تتميز كل واحدة منها بخصائص تعبر عن نضج وتطور أساليب البحث المقارن.

كما أن لكل مرحلة سماتها الأساسية المتعلقة بأساليب البحث في هذا الموضوع، ومناهج خاصة و من المراحل

1- مرحلة النقل والإستعارة. أو المنهج الوصفي

2- مرحلة القوى والعوامل.

3- مرحلة المنهجية العلمية.

1- المرحلة الأولى: (النقل أو الاستعارة) أو المنهج الوصفي

تميزت هذه المرحلة بمحاولات متفرقة للتعرف على نظم حياة الشعوب وثقافتها بما فيها نظم تعليم أبنائها وهذا باستخدام منهجية وصفية.وكان هدف التربية المقارنة في هذه المرحلة هو نقل واستعارة النظم التعليمية.

بحيث كان الهدف الأساسي للبحوث التربوية المقارنة في بداياتها هو استعارة ونقل ما يمكن نقله عن عناصر النظام التعليمي لبلد ما إلى بلد آخر من أجل إصلاح النظم المحلية أو القومية.

وتزامنت مع هذه المرحلة الإصلاحات الكبيرة للنظم التعليمية في أوروبا وأمريكا، حيث .تتجلى الأبحاث التربوية المقارنة تقارير تصف المؤسسات التعليمية في تلك الدول

ومع نشر مارك أنطوان جوليان الفرنسي الملقب بأب التربية المقارنة و رائدها الأول مقاله المعروف: "خطة وأفكار أولية عن عمل في التربية المقارنة والذي حدد فيه بوضوح أغراض وطرق الدراسة المقارنة للمشكلات التربوية، كما دعا فيه إلى الملاحظة المنظمة

الدقيقة للظواهر التعليمية، والى جدولة الملاحظات بطريقة تسمح بمقارنتها واستخلاص مبادئ معينة، بدأت البحوث التربوية

المقارنة تنشط وتتأصل، وبدأ رواد هذه المرحلة في نشر أعمالهم، مثل فكتور كوزان بفرنسا، وهوراس مان في أمريكا، زماثيو أنولد في انجلترا، ووليو تولستوي الروسي وأوشنسكي الروسي،

حيث عمل هؤلاء على دراسة النظم التعليمية الأجنبية بهدف نقلها إلى بلادهم، إذ كان من المعتقد في هذه المرحلة وهي طيلة القرن التاسع عشر

أنه يمكن نقل نظم تعليمية من دولة إلى أخرى، وتركز الاهتمام على جمع المعلومات عن النظم التعليمية ومكانتها حتى يمكن الاستفادة من أحسن النظم،ولهذا كان منهجها بصفة عامة هو المنهج الوصفي الذي يقتصر على وصف النظم التعليمية

أو بمعنى آخر وصف لمظاهر النظام التعليمي دون التعمق في تحليل جذوره وأصوله.

وكان معظم ما كتبه الرواد في هذه الفترة عبارة عن تقارير وصفية تحتوي على معلومات على النظم التعليمية دون التوصل إلى القواعد والمبادئ

والواقع أن نقل نموذج أجنبي كما هو أو استيراد النماذج والممارسات بالجملة عملية مآلها الفشل المحتوم في حقل التنمية التربوية، وليس ثمة صيغة جاهزة قابلة للتطبيق على جميع البلدان، فكل نموذج أصاب النجاح في بلد إنما هو حصيلة لظروف اجتماعية وتربوية محددة،

وفي ذلك يقول سادلر: "لا يمكن قط للمرء أن يطوف على خواه بين نظم التعليم في العالم، وكأنه طفل يتنزه في حديقة يختار زهرة

من هنا وبضع أغصان من هناك، على أمل أن يغرس في أرضه ما اقتطفه، فتنبت له منه غرسه حبة، فنظام التعليم الوطني شيء حي، والفائدة العملية من دراسة سير نظم التعليم الأجنبية بالدقة العلمية والروح الملائمة هي في جعلنا أقدر على دراسة وفهم نظامنا الوطني الخاص

وليس معنى صعوبة نقل النماذج التربوية الناجحة من الدول الأخرى أن تلتزم كل أمة بما

تصفه لنفسها من نظم تعليمية وتربوية دون أن تفيد من نظم غيرها وخبرتها وتجاربها، أو أن ترسم خططها ونظمها بمعزل عما ترسمه الأمم الأخرى لنفسها، بل ينبغي أن تكون للدراسة المقارنة في التربية نصيب من العناية عند وضع فلسفة تربوية معينة

أو رسم نظام تعليمي خاص وأن تجري كل أمة على أي نظام تقتبسه من أمة أخرى، التعديلات التي تتلاءم وظروفها الخاصة وتاريخها

وتقاليدها والأهداف التي ترمي إلى تحقيقها.

وكثيرا ما تكون المشكلة التربوية واحدة في بلاد متعددة ولكنها لا تستطيع أن تصنع حال واحدا يصلح لها جميعا، وكل ما نستطيع فعله هو دراسة أسباب المشكلة ومظاهرها العامة وأن نأخذ من أسباب العلاج بالقدر الذي يناسب العوامل المختلفة المحيطة بها، مسترشدين في ذلك بالمبادئ العامة التي تتبع في عالج المشكلة.

ومن أشهر الأعمال التربوية المقارنة في هذه المرحلة نجد: تقارير فيكتور كوزان الذي قدم فيه وصفا لنظام التعليم وخاصة المدارس الابتدائية والثانوية، ومعاهد إعداد المعلمين ، وتأثر به النظام التعليمي الفرنسي، وترجم هذا التقرير إلى الإنجليزية وكان ذات أثر كبير على نظامي التعليم في انجلترا وأمريكا

كما زار هوارس مان HOUARES MAN الأمريكي اوربا لمدة ستة اشهر, زار خلالها ألمانيا، انجلترا، هولندا، ايرلندا، اسكتلندا، ودون مشاهدته عن النظم التعليمية

هناك، وأوضح أن نظام التعليم في ولاية ماستشوستس الأمريكي يقل كثيرا عن النظم التعليمية التي ازرها. وكان يعتقد أن المشكلات التعليمية الراهنة لها جذورها التاريخية التي توضحها وتشرحها، وعموما تميزت تقارير هوارس مان بأنها تتعدى الوصف إلى تقييم النظم التعليمية– نظم التعليم في الدول التي ازرها-

وخاصة نظم إعداد المعلمين، ونجح في نقل خبراته عن أنظمة التعليم الفرنسية والبريطانية وأثمرت جهوده في صدور قانون للتعليم الإلزامي في أمريكا عام 1852.كما نجح ماثيو أرنولد الإنجليزي في إصلاح التعليم البريطاني في تقريره المشهور عن المدارس والجامعات في أوروبا